الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ١٠

أكتوبر - ديسمبر ٢٠٢٣ م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية
د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية
أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية
د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية
د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا
أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر
أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. محمد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى
أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود
أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس
أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة
أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم
د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**اللغات المنسوبة في كتاب "لغات القرآن" للفراء** **دراسة وصفية تحليلية لما تفرد به** د. مقبل بن علي الدعدي	٩
٢)	**الاستئناف البياني عند سيبويه** د. نيّاف بن رزقان بن هليل السلمي العنزي	٧١
٣)	**تغليط الفيروزآبادي الجوهريَّ** **دراسة تقويمية** د. منصور بن دباس بن عبد الله العتيبي	١٣١
٤)	**لحنُ العامّة في مُعجمِ تهذيبِ اللغة** **دراسة نحوية صرفيّة** د. خليفة بن محمد بن سليمان الخليفة	٢٤١
٥)	**أنواع المعنى السبعة لدى " جيفري ليتش" في كتابه** "Semantics – The study of meaning" **دراسة وصفية تحليلية** د. علي بن جازي بن علي الدبيسي	٣٢٥

م	البحث	الصفحة
٦)	**تحقيق نسبة كتاب "عرائسُ المحصَّل مِن نَفائسِ المُفَصَّل" المنسوب لفخر الدين الرازي** د. عبد الله بن محمد المديفر	٣٨٥
٧)	**الشواهد الحديثية في علم المعاني من كتاب شرح عقود الجمان للسيوطي دراسة بلاغية** د. عايد بن سليم الحسيني	٤٥١
٨)	**الاقتران الحجاجي في آيات التوحيد دراسة وصفية تحليلية** د. أحمد أحمد السيد شتيوي وفاء بنت مليح الشمري	٥٣٩
٩)	**التَّشكيل البصري وشعريَّة اللغة في ديوان التباس للشاعر حسن الزهراني** د. ناصر سليم الحميدي	٥٩١

الاقتران الحجاجي في آيات التوحيد
دراسة وصفية تحليلية

Argumentative Conjunction in the Verses of Monotheism
A Descriptive Analytical Study

د. أحمد أحمد السيد شتيوي

أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: Dr.shetewi2016@gmail.com

وفاء بنت مليح الشمري

باحثة ماجستير بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: Wafaam_1989@hotmail.com

المستخلص

قضية الوحدانية والآيات الدالة على وجود الله تعالى وقدرته على إبداع الكون من أرض وسماء وإنسان وحيوان ونبات، لا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم، فآفاقه في السماوات والأرض تدل على وجوده وقدرته وإرادته وعلمه، والإيمان بذلك له أثره الإيجابي في حياة الإنسان، ودليل على التصديق القولي والعملي، وتحقيق العبودية لله تعالى، وقد اتخذ القرآن الكريم مناهجَ وطرقاً عدة لإثبات الوحدانية له سبحانه وتعالى، ومنها: الحجاج العقلي، والحسي، والمنطقي، والوجداني، والعاطفي.

وقد تنوعت الحجج بين الإفراد والتتابع بحسب المقام، وأحوال المخاطبين، وكان النوع الثاني هو الغالب؛ وجاء الخطاب فيه للعامة؛ لعلهم يرشدون؛ وقد آثرنا دراسة أسلوب الحجج المتضافرة الدالة على الوحدانية، وطبيعة بنائها اللغوي، وتقنياتها المتنوعة، وأثرها في المتلقي.

والقصد من تتابع الأدلة والبراهين في إثبات التوحيد بالقرآن الكريم هو الإقناع والتأثير أو الإفهام أو الإقحام، والبحث يقوم على تتبع مقامات اقتران أكثر من حجة لغاية واحدة في آيات التوحيد، والكشف عن تنوع الحجاج البلاغي.

ويقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال النماذج التي يقف عليها وفق السياق والمقام وأسباب النزول، وبيان طبيعة أبنية الحجج وتقنياتها.

الكلمات المفتاحية: الاقتران الحجاجي ـ التقنيات ـ المقام ـ السياق ـ الأثر.

Abstract

The issue of monotheism and the verses indicating the existence of Allah Almighty and His ability to create the universe, from the earth and the heavens to humans, animals, and plants, is present in almost every chapter of the Quran. The expanses in the heavens and the earth are evidence of His existence, power, will, and knowledge. Belief in this has a positive impact on human life, serving as evidence for verbal and practical affirmation, and achieving servitude to Allah Almighty. The Quran employs various methods and approaches to prove His oneness, including logical, sensory, logical, emotional, and sentimental arguments.

Arguments vary between individualization and sequence depending on the context and the conditions of the audience, with the second type being predominant. The discourse is directed to the general public in order to guide them. This study focuses on the style of interrelated arguments that indicate monotheism, their linguistic structure, and diverse techniques, exploring their impact on the recipient.

The purpose of the continuous presentation of evidence in proving monotheism in the Quran is persuasion, influence, understanding, or involvement. The research traces the positions of coupling more than one argument in the verses of monotheism, revealing the diversity of rhetorical arguments.

The research adopts a descriptive analytical methodology, examining models based on context, position, and reasons for revelation, and elucidating the nature of argument structures and techniques.

Keywords : Argumentative Conjunction, Techniques, Position, Context, Impact.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأرضين، مدبِّر الخلائق أجمعين، وباعث الرسل إلى المكلفين لهدايتهم وبيان شرائع الدين، وتوجيههم للحق المبين بالدلائل الواضحة، والبراهين الساطعة على أن الله واحد في ذاته وفي ملكه سلطانه يدبر الكون بحكمته وقدرته، وبعد.

فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة التي أيد بها رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم؛ لإرشاد الناس جميعا، وبيَّن طريق الحق بالأدلة والبراهين، ولكن القوم الذين نزل فيهم الوحي أقروا بأصل الربوبية، واعتقدوا أن الله تعالى منفرد بالخلق، ولكن كان ضلالهم بسبب عبادتهم للملائكة والأصنام وجعلها واسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له[1] ولم يقف المشركون عند هذا بل شككوا في الرسالة، والقرآن، والبعث والنشور بأدلة واهية، وجدال ممقوت، ينبني على الرفض والاستهزاء والسخرية، والاستسلام لما تركه الآباء، فناقشهم القرآن الكريم وحاورهم وبين لهم بطلان فكرهم، ووهن أدلتهم، وأثبت لهم بالأدلة العقلية والحسية والعاطفية والوجدانية صدق ما هو عليه، فمنهم من آمن وهَدى إلى طريق الحق، وأسلم، ومنهم من جاحد بعقله، وتشحذ بالجدال، واستمر على إنكاره، فأقام عليهم القرآن الحجج الدامغة، وأخرس ألسنتهم.

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر " تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢ السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).٧: ٨٥.

واتخذ القرآن الكريم طرقا عدة للبيان والإمتاع والإقناع والتأثير، من خلال الخطاب الحجاجي الذي يعد سمة واضحة في أسلوبه، وجاء توظيفه في قضايا كثيرة، ومنها: إثبات الوحدانية لله، وحث الناس على الإيمان بها، والتسليم لرب العالمين، ودعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل والفكر في الأنفس والآفاق بمحاورته وتوجيهه نحو البراهين العقلية والأدلة الحسية المتتابعة، التي لا تقف عند إبطال شبهات المرتابين، بل تبلغ بالمؤمن إلى درجة اليقين، ويزداد إيمانه رصانة.

وتتسم الحجج المتتابعة في التنزيل الحكيم بالفروق الواضحة بينها تبعا لتنوع موقف المخاطبين من حيث القبول والرفض، في الإيمان بالله تعالى، وتنوعت الأدلة من حيث البناء وطريقة العرض، فكان لهذه الحجج التأثير البالغ في الخصوم، وبان لهم حقيقة الأمر سواءً آمنوا وصدقوا، أم كفروا وفجروا وهم يعلمون.

والناظر في الخطاب القرآني يجد الكثير من التحاور في خطاب تفاعلي بين الدعوة والرفض، والأسلوب الحجاجي المتتابع صريحا أو ضمنيا لا تكاد تفرغ منه سورة من السور القرآنية، وجاء تكثيف الحجج في القضايا التي كثر فيها الجدال، واشتد فيها الإنكار والعناد وفق ما يقتضيه المقام، أو التنقل بين جزئيات الفكر التي يقصد إيصالها للطرف الآخر، أو الحاجة لوجود تأكيد على تأكيد لتأصيل الفرد وتحويله وإقناعه وإمتاعه وتحريره من ظنونه، أو دعوة لتفعيل العقل ومسلماته الرصينة الموروثة نحو التفكير والاقتناع والإيمان باطنياً وخارجياً عقلياً وحسياً.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

- عدم وجود دراسة للموضوع بصور كاملة، على حد علمنا. فعزمنا القيام به؛ رغبة منا في الوقوف على أبعاده، وأسراره، وتقنياته، وطبيعة منهاج القرآن في إثبات قضية التوحيد بالحجج المتتابعة.
- تضافر الأدلة والحجج التي قد تصل في المقام الواحد والمعنى الواحد إلى أربعة أو

خمسة في آيات التوحيد.

- تنوع الحجج بين الحسية والعقلية والعاطفية والوجدانية.
- أثر الحجج المتتابعة في التغيير والتحول الإيجابي إذ يستلم المتلقي لما يذكره القرآن، انطلاقا من تجاوبه مع الفطرة، فكل ما في الكون يدل على أنه الواحد الأحد الفرد الصمد.
- التنظيم والتناسق والانسجام المؤتلف بين الحجج المتتابعة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الوقوف على ما يلي:

- بيان المقامات التي تضافرت فيها الحجج لإثبات التوحيد بأنواعه في القرآن الكريم
- إبراز تنوع الحجج المتابعة من حيث الحسية والعقلية والوجدانية.
- الكشف عن التقنيات البلاغية للحجج المتتابعة في آيات التوحيد.
- بيان أثر الحجج المتلازمة في المقام الواحد في المتلقي، من حيث لذة الانشراح أو الارتياح أو التحول الإيجابي، أو التخفيف من درجة القناعات والمسلمات الموروثة.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاعنا على الدراسات حول هذا الموضوع، لم نجد على حد علمنا دراسة تناولته بالتطبيق، ولكن الجهود السابقة نفيد منها بإذن الله وإن كانت في جوانب أخرى من هذه الدراسة، ومنها:

أولا: الدراسات البلاغية:

١– بلاغة الاقتران في القرآن الكريم للباحثة مريم بنت سليمان بن عبدالله العبيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه غير مطبوعة تقدمت

بها الباحثة لكلية اللغة العربية بالرياض تخصص: البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي– ١٤٣٤ هـ. وجاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وفهارس، في التمهيد: تناولت مفهوم الاقتران في الدراسات القرآنية. واشتمل الفصل الأول على الاقتران بين المفردات، وجاء الفصل الثاني بعنوان: الاقتران بين الجمل: الخبرية والإنشائية والجمل المقيدة، وشمل الفصل الثالث: الاقتران في التصوير البياني: التشبيهات والاستعارات والكنايات، أما الفصل الرابع فخصصته للاقتران في أساليب البديع المختلفة، وفي الفصل الخامس: الاقتران في القصص القرآني، أما الفصل السادس فوقفت فيه على سمات الاقتران في القرآن الكريم لفظية ومعنوية.

وواضح مما سبق أن الموضوع بعيدٌ عن دراستنا حيث اقتصرت فيه الباحثة على المفردات والتراكيب البلاغية المتتابعة دون التعرض للاقتران الحجاجي ومقاماته وأهدافه وآلياته، وهو ما تقوم به دراستنا.

٢– مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام الأسماء المقترنة، للباحثة: نجلاء بنت عبد اللطيف كردي، نشرت عام ١٤٢٢هـ، وهي رسالة تناولت أسماء الله الحسنى المقترنة الجارية مجرى الأعلام في القرآن الكريم، لتقديم نماذج للمقامات التي تستدعي اسمين معينين من أسماء الله –تعالى– دون غيرهما من الأسماء، من خلال تحليل الشواهد تحليلًا بلاغيًّا. والدراسة بعيدة عن موضوع دراستي.

٣– الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية د عبد الله صولة، كتاب مطبوع تناول فيه أبعاد الحجاج للكلمة، وأهمية العدول الأسلوبي في الحجاج، ودور الصورة البيانية في الحجاج، وهو كتاب مهم ومفيد. ولكنه لم يتناول الاقتران الحجاجي.

٤– " تضافر الأدلة والحجج في الاستدلال القرآني". للأستاذ الدكتور: أبو بكر

العزاوي. منشور في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، بالجزائر، وهو بحث مفيد في بابه وقد اقتصر فيه على تحليل شاهدين فقط من القرآن الكريم، وليست ضمن الشواهد التي يتناولها هذا البحث

٥- (أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية) لمثنى كاظم صادق، الناشر: كلمة للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة:١، ٢٠١٥م.

٦- كتاب (آليات الحجاج القرآني) عبد الجليل العشراوي، الناشر: عالم الكتب الحديث، الطبعة:١، ٢٠١٦م. والدراسات السابقة مفيدة في بابها ولكنها لا تلتقي مع موضوع دراستنا.

فنحن نركز على مقامات اقتران الحجاج في القرآن الكريم إجمالا، وتحليل نماذج من الاقتران الحجاجي بما يكفي لإقامة البحث.

٧- الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجا" للطالبة إيمان دروني، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر الجزائر.

تناولت الباحثة على الحجاج في السورة دون التركيز على الحجج المتتابعة وأثرها، وهو ما يقوم عليه هذا البحث

ثانيا: الدراسات القرآنية، وهي:

١. الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، فخري أحمد سليمان الجريسي، وهي رسالة (ماجستير)، ١٩٩٨ م، منحت من جامعة الموصل، ولم يتيسر لي الاطلاع عليها؛ لعدم توفرها.

٢- اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة" حصرها، معانيها، مناسبتها، للدكتور: سليمان بن قاسم العيد، وهو بحث نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع والثلاثون – ربيع الآخر ١٤٢٢هـ.

٣- دلالات الاقتران إنزال القرآن بإنزال غيث السماء في سور القرآن الكريم أسرار ومناسبات ولطائف. للدكتور: بريك بن سعيد القرني قسم القرآن الكريم وعلومه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية العدد السادس والثلاثون مايو ٢٠١٥م.

ويقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، انطلاقا من السياق والمقام وأسباب النزول، وبيان طبيعة أبنية الحجج، وتقنياتها، ولا يقف البحث على الحجج المفردة، بل يركز على المقامات والآيات التي تضافرت فيها الحجج وتتابعت في المقام الواحد.

ويتكون البحث من تمهيد بعد المقدمة.

ويتناول التمهيد معنى الاقتران الحجاجي وبواعثه، ومفهوم التوحيد

أما المبحث الأول فيقف على نماذج من الاقتران الحجاجي في آيات توحيد الربوبية.

والمبحث الثاني: يدرس نماذج من الاقتران الحجاجي في آيات توحيد الألوهية

والمبحث الثالث التقنيات البلاغية في آيات التوحيد.

التمهيد:

أ. مفهوم الاقتران الحجاجي وبواعثه:

أ. جاء في مقاييس اللغة بأربعة معان وهي:

الأول: القصد: وكل قصد حج، ثم اختُصَّ الاسم القصدُ إلى البيت الحرام.

الثاني: الحِجَّةُ، وهي السنة.

الثالث: الحِجاج والحَجَاجُ: وهو العظم المستدير حول العين.

الرابع: الحاجة: النكوص(١).

ب. الاقتران: هو المصاحبة، يقال: اقترن الشيئان وتقارنا، وجاؤُوا قُراني، أي مُقترنين. وقارن الشيءُ بالشيء مقارنة وقِراناً اقترن به وصاحبه، واقترن الشيءُ بغيره. وقارنتهُ قِراناً: صاحبته. وقرنتُ الشيءَ بالشيءِ وصلته، والقرينُ المصاحبُ(٢)، وقال الراغب: "الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى واحد"(٣) فالمادة تدور حول معنى الجمع، والمصاحبة والتلازم.

وجاء ذكر الاقتران في الذكر الحكيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ مُقْتَرِنِينَ ﴾[الزخرف : ٥٣] أي: باجتماع الشيئين ببعض

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس، " مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون، (ط١ دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م).٢: ١٩٧.

(٢) جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "ح ج ج"؛ أبو منصور الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "ح ج ج".

(٣) أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني "المفردات في غريب القرآن"، ضبطه هيثم طعيمي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب. ت). ٥١٨.

وازدواجهما وارتباطهما ببعض. وجاء في قول الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه"(١)، وقصد به الشريك الملازم لهُ، لا ينفك عنه.

وقد اشتق القدامى من مادة القرن "الاقتران" بمعنى الازدواج، فقالوا: "اقترن فلان بفلانة" أي: تزوجها، وسمي النكاح "القرآن" وزان الحِصان. وأصل ذلك في لغة العرب (٢).

والاقتران لا يقتصر على اقتران المفردات بل يشمل الجمل والتراكيب، والأدلة والبراهين.

جـ. الحجاج في اللغة جاء في لسان العرب: "حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها قيل (...)، وقال الأَزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ التَّخاصُم، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ (...) والحُجَّةُ الدليل والبرهان"(٣) والحجاج يعني الخصام والنزاع من خلال البراهين والحجج، وهو بهذا يرادف الجدل، قال ابن منظور: "الجَدَل مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة"(٤).

(١) أبو الحسين مسلم الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. "الجامع الصحيح المسمى صحيح. (ط١، بيروت: دار الجيل بيروت، ودار الآفاق الجديدة، ١٩٩٤م) ١٣٩/٨.

(٢) معجم المناهي اللفظية، وفوائد في الألفاظ لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م، ص: ٤٠٧.

(٣) ابن منظور "لسان العرب"، مادة " ح ج ج.

(٤) ابن منظور،" لسان العرب"، مادة " ح ج ج.

وورد الحِجَاجُ في القرآن الكريم بمعان عدة، ومنها: الجدال والمجادلة، والتناظر المناظرة، والتنازع المنازعة **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨]. و**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ [الأنعام: من الآية ٨٠] فالحجاج يكون عند النزاع والخصام أو عند إثبات معنى من المعاني، ويقوم كل فريق بتقديم الأدلة والبراهين والحُجج التي تؤيد ما يذهب إليه بقصد إفهام الفريق الآخر أو إرجاعه عن قناعاته.

وجاء لفظ الحجاج في تاريخ العلم عند العرب وغير العرب، بمعان مختلفة، وتقارب مع مسميات أخرى، كالمناظرة، والمغالبة، أو المخاصمة، أو التداعي والتنازع، أو المجادلة والجدال، أو الدفع بالقول للردع عن شيء أو الإقناع بأمر، وإن اختلفت المسميات من عالم وفيلسوف، فهي ترمي إلى نفس المقصد وهو إقناع المستمع، بحجج لغوية تدفع العقل نحو إعماله والتفكير ليستخلص النتائج المؤثرة في الملقي(١).

والبلاغة العربية قديما اهتمت بالوظيفة الإقناعية الحجاجية للخطاب، أي: أنها بلاغة حجاجية إقناعية، وكل من البلاغة الكلاسيكية والبلاغة العامة تهتم بالأسلوب وجمالية الخطاب، ولهذا فهي بلاغة إمتاع، بخلاف البلاغة الجديدة الحجاجية، أو الحجاج البلاغي الذي يعني إثبات قضية ما بالدليل والبرهان(٢).

(١) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، "الحجاج مدارس وأعلام". (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م)، ٢: ١٠. وينظر: عمارية حاكم "الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقفي"، (ط١، دمشق: دار العصماء دمشق، ٢٠١٥م) ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) ينظر: أبو بكر العزاوي، "الحجاج في اللغة والبلاغة– ديكرو وبيرلمان أنموذجا". مجلة فصول ١٠١، (٢٠١٧م): ٤٠٣.

وكان لفلاسفة اليونان عمق كبير في توجيه فكرة الحجج، فأفلاطون يرى أن المحاججة: إقناع، ويأتي من علم أو من ظن، ويرى أرسطو أنه عبارة عن الخلط بين دلالية الحجة التي قد تميل بالحجج عن معانيها، والعمل على البحث العميق في اللغة من أهلها، فيستخلص من تنبيهاته الدقيقة بأن الحجاج عنده: تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم(١).

والحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، ويتمثل ذلك في إنجاز تسلسلات استنتاجية محددة داخل الخطاب، وهذا يتطلب إخراج صورة الحجاج في أساليب بلاغية ممتعة، وتشمل المفردات والتراكيب البيانية والجناس والتكرار وأدوات التوكيد ...إلخ(٢).

ويلتقي الحجاج في الدلالة العامة مع البرهان والاستدلال، فالثلاثة تسعى إلى إيجاد التصديق لدى المتلقي، لكن الثاني والثالث يسعيان للأمر على جهة الجزم، ولا يترك مجالاً للتفكير أو الأخذ والرد من قِبل المتلقي، أما الحجاج فهو يعكس عملية ديناميكية حوارية قد تصل بأحد الطرفين إلى الإذعان/ القبول، وقد لا تصل به، فهو أفق مفتوح للحوار، ومسلماته لا تعدوا أن تكون احتمالية، ولا يفتقر إلى ضرورة منطقية، وليست خلاصته ملزمة(٣).

ويتطلب الحجاج إيجادًا، وترتيبًا، وأسلوباً، وهدفًا، والحجج تكون ظاهرة أو

(١) ينظر: أبو بكر العزاوي، "الحجاج في اللغة والبلاغة- ديكرو وبيرلمان أنموذجا". مجلة فصول ١٠١، (٢٠١٧م): ٤٠٣.

(٢) ينظر: منتصر أمين عبد الرحيم، "الأداء لحجاجي وبلاغته في كتاب الخطابة لابن سينا" مجلة اللسانيات العربية ١، (٢٠١٥م) ص٥٧.

(٣) ينظر: محمد العمري، "البلاغة لجديدة بين التخييل والتداول". (ط١، المغرب: أفريقيا الشرق،٢٠١٥م)٢٢٠.

مضمرة، ويأتي ترتيبها بحسب القوة تبعا لحالة المستمع. ويعد الحجاج الوظيفة الأولى للبلاغة، وينسجم معها في الإمتاع والجمال.

ودراسة الحجاج تقوم على تحليل تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم، أو أن تغير المسار الذهني للمتلقي من خلال التركيز على بعض الآليات التي قد تصل به إلى درجة الإقناع، مما يؤدي به إلى العزوف عن فكرة ما، أو يؤيد فكرة ما ويدافع عنها(١).

والحجاج ملازم لكل خطاب يقوم على الاستدلال والتدليل، وله أكثر من حقل وظيفي، كالحجاج الخطابي(بلاغي)، والحجاج القضائي(قانوني) والحجاج الفلسفي، والحجاجي الرياضي ...إلخ(٢).

وفي العصر الحديث بدأ مصطلح الحجاج في البلاغة يتمحور في تداخلات عميقة، وتفصيلات دقيقة أيضاً، حتى اكتمل ونضج وأنتج في ضوئه دراسات وترجمات وفيرة نحو دراسة الحجاج وتفسيره، ومع زيادة العمل الدؤوب عند العرب المسلمين في تحديد نوع الحجاج في القرآن الذي يختلف عن الحجاج في الخطاب والشعر والنصوص، نجد من حدد للحجاج في القرآن مفهوماً خاصاً، بناء على الغرض المسوق إليه وهو تغيير وضع قائم(٣).

(١) ينظر: عبد الله صولة، "نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، (ط١، تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١م)، ١٥.

(٢) ينظر: حبيب أعراب "الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر م٣٠ عدد ١، (٢٠٠١م)، ٩٧.

(٣) ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج في القرآن من هلال أهم خصائصه الأسلوبية"، (ط١، بيروت: دار الفارابي،٢٠٠١م) ٤٣.

ويقول ابن عاشور: "إن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها، فإصلاح كفارهم بدعوتهم إلى الإيمان(...)، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم، وإرشادهم إلى طريق النجاح، وتزكية نفوسهم؛ ولذلك كانت أغراضه مرتبطةً بأحوال المجتمع في مدة الدعوة" (١). فالقرآن كتاب قائم على إصلاح الناس، وتغيير وضع، وحل معضلات عجزت العقول عن حلها، وتنازع بسببها أهل الكتاب واختلفوا في الرأي، فجاء لهم القرآن بالقول الفصل فيما هم فيه يختلفون؛ ولهذا كان الحجاج هو البديل للعنف، وبه يحدث إقناع الناس واستمالتهم من خلال المحاورة والمحاججة دون إكراه وقسر. أي أن القرآن الكريم كلام حجاجي بحسب هدفه السامي، وهو إحداث تغيير وتحول إيجابي، وهو أوسع من الجدال(٢).

ويمكن القول إن الاقتران الحجاجي هو: التتابع والتعاقب والتلازم والترابط في البراهين والأدلة وفق ما يقتضيه الموقف وحال للمخاطب، المعيَّن أو غير المعين؛ بهدف الإقناع والتأثير خلال توالي الحجج عبر تقنيات لغوية وبلاغية مصحوبة بنشاط فكري.

ويتسم الخطاب الحجاجي المتعلق بآيات التوحيد، بصور تركيبية وتقنيات بلاغية معينة، ولها تأثيرها في السامع من حيث الإقناع أو التأثير أو إلجامه الحجة والبرهان الحسي أو العقلي أو هما معا.

مفهوم التوحيد: التوحيد مصدر الفعل وحَّد، أي: أفرد، ووحد يوحد توحيدا، ويعني: تحقيق الشهادتين، وإفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية، والأسماء والصفات،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير" (ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ، ٢٠٠٠م) ١٤/١.

(٢) ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج في القرآن"، ١٤– ١٦.

والتوحيد أول ما نُودي به في هذا الدين الحنيف، والتأكيد على أن الله هو الواحد الفرد الصمد، الذي لا إله إلا هو ولا أحد مستحق أن يشرك معه بالعبادة سواه.

وقد تأتي الربوبية بمعنى الألوهية، وهي ما أقر بها المشركون، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: من الآية: ٤٠].**وقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: من الآية ١٦٤]. **وتَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[فصلت: ٣٠]. فالمقصود بالربوبية هنا الألوهية وحدها.

وغاية التوحيد في رسالات الأنبياء –عليهم السلام– إصلاح شأن العالمين من الإنس والجن، والسمو بالأمم، وتحريرهم من ضلالاتهم وجهلهم وشركهم، فلا يتيهون في منعطفات الدنيا، ولا تُذلهم رغباتهم، أو يغويهم الشيطان، فيشقوا فيها ويهكلوا.

وتقسيمات التوحيد مستحدثة بقصد خدمة الدين، فكانت عند ابن تيمية، ثلاث وهي: "توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الذات والصفات، وهي توحيد الأسماء والصفات"(١).

والأول: يعني **توحيد الله بأفعاله،** كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع والضر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وقد أقر به أئمة الكفر:

(١) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، "مجموعة الرسائل الكبرى". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ). ١: ١١٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

وهذا النوع مركوز في الفطرة، ومع ذلك سيقت الأدلة في القرآن على ذلك؛ للتأكيد على من أنكره فهو يضاد الفطرة. وتوحيد الربوبية ينبني على معنى الرب، والرب هو السيد والمصلح والمالك والمربي [(١)]، ويعني" : أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه[(٢)]، ويقول ابن عثيمين – رحمه الله – في تعريف توحيد الربوبية" :وهو إفراد الله – سبحانه وتعالى – في أمور ثلاثة؛ في الخلق، والملك، والتدبير"، "فالخلق يدخل فيه الإبداع والإيجاد والإنشاء وفق تقدير سابق، والملك والتدبير يدخل فيها تصرفه – سبحانه – في خلقه، من إحياء، وإماتة، ورزق، إلى غير ذلك من تدبيره لمخلوقاته، كما يتضمن غناه – سبحانه – عنهم وفقرهم إليه، وهذه صفات الرب"[(٣)].

والثاني: توحيد الألوهية، وهي مأخوذة من الفعل الثلاثي(أله) بمعنى عبد، والهمزة واللام والهاء، أصل واحد، وهو التعبد، فالإله، الله –تعالى–، وسمي بذلك؛

(١) ابن منظور،" لسان العرب"، مادة: ر. ب. ب.

(٢) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية "الاستقامة " تحقيق محمد رشاد سالم (ط٢، السعدية: إدارة التعاون والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١م).١: ١٧٩.

(٣) صالح الفوزان، "شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية". (ط٧، السعودية: دار العاصمة، ٢٠٠٢)، ١/ ٢١.

لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل: إذا تعبّد."(١).

و"في الاصطلاح: هو إفراد الله بالعبادة: قولاً، وقصداً، وفعلاً، فلا ينذر إلا لهُ، ولا يدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا بهِ، ولا يتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة"(٢).

وتوحيد الألوهية يعني توحيد الله بأفعاله المتنوعة التي يوقعها على جهة التقرب، متوجها إليه بها وحده، ويتجلى ذلك في العبادة التي تقوم على المحبة، والتعظيم، والرضا بالحال، والرجاء، وهذا ما دعا إليه الرسل، وطالبوا قومهم به، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا تحديد لغاية الله من خلقه، وهي العبادة له دون سواها، أي قصر علة الخلق على عبادته، وهذا يعني أن التوحيد يتطلب الذل والخضوع لرب العالمين، وامتثال أوامره ونواهيه، ودل قوله تعالى على معنى العبادة

وتوحيد الألوهية: هو أجلّ أنواع التوحيد وأعظمها، وهو يشملها جميعاً، ولا يصبح الإنسان مؤمناً إلا إذا حقق هذا النوع من التوحيد، وقد كثر وجوده في القرآن.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات، ويعني اعتقاد العبد أن الله –جل جلاله– واحد في أسمائه وصفاته لا مماثل له فيها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) ابن فارس، "مقاييس اللغة العربية". (ط١، ١٣٩٩)، ١: ١٢٧.

(٢) ينظر: أحمد علي الزاملي "منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين" (ب. ط، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣١هـ). ص٧٣.

ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١][(١)]. وتوحيد الألوهية هو الأساس، وقد دل عليه القرآن الكريم في كثير من آياته، وآلائه، ومن ذلك دلائل الخلق في الأنفس والآفاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات:٢٠-٢٣]. وهذه الآيات وغيرها تحتاج إلى التأمل، وهي الطريق إلى وحدانية الله تعالى، ودليل أن بديع صنعه سبحانه، وخلقه للكون من سماء وأرض وما فيهما من أهم الدلائل العقلية على وحدانيته.

والتوحيد عقيدة شاملة، تستوجب يقين القلب، وإسلام الوجه لله تعالى قولا وعملا، وإفراده سبحانه بالعبادة بكل صورها والطاعة الكاملة في كل شؤون الحياة أي في تشريعات الحلال والحرام، كما يعني التوحيد بكل أنواعه (الربوبية، والألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات) مترابطة تؤخذ جملة، ولا تقبل التجزئة، وهذا يعني: رد الحكم والتشريع إلى الله سبحانه في العقائد والأخلاق، والعبادات والمعاملات، وهذا يتطلب تقرير وحدة الخالق المعبود، وتقرير وحدة الآمر المطاع، فلا تجل لغيره حكما في كل تصرفاتك، وأنه سبحانه بيده وحده الأمر والنهي، وأن الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، ولا يجوز مجاوزة ذلك[(٢)].

(١) ينظر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، "التمهيد لشرح كتاب التوحيد". (ط١، السعودية: دار التوحيد، ٢٠٠٣)، ٧٥.

(٢) ينظر: عوض زاهر بن عواض الألمعي، "دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، (ط١، ب. ن، ١٤٠٥)، ١٨٠.١٨٥، وينظر: محمد عبد الله دراز، "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن" (ط٧، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٣).١٩٠. ١٩٥.

المبحث الأول: الحجج المتتابعة في توحيد الربوبية

جاء في القرآن كثير من الآيات التي تُثبت توحيد الربوبية، وقد تضافرت فيها الحجج والبراهين والدلائل لتحاجج المعاندين، وتدعو المشككين في بيان ليس بعده بيان.

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد : ١٤-١٦]. بدأت الآيات بتأكيد ما يدعو به الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه الحق، وأن ما يدعو إليه ولعبادته –سبحانه– هو المستحق للعبادة، ودل افتتاح الآية على القصر بطريق التقديم، فالدعوة مختصة به وحده، وهي حجة دالة على الاقتاد والبلاغة، وبعد النصرة لدعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء تأكيد الإبطال لما عليه الكفار، وما يدعونه ويعبدونه مع الله من آلهة أخرى، ويؤكد لهم ذلك بطريق التمثيل لهم ولحالهم، فهم كمن يريد أن يشرب الماء فلا يبلغه، وهذا حال المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة غيره، فلا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة؛ وقد شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتكم بمن أراد أن يغرف

الماء بيديه ليشربه، فالوسيلة غير المجدية للوصول إلى الهدف المنشود ، وأنّى له ذلك![١] ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾، وهي نتيجة دالة على الخيبة والخسران والضياع، فالحجة قائمة على التشبيه المركب، والمقدمة والنتيجة، كما تعانقت معها الحجة بطريق الاستثناء.

وتأتي الحجج المتتابعة القائمة على الاستفهام في الآية الأخيرة، وفيها يأمر الله سبحانه الرسول صلى الله عليه وسلم بسؤال المشركين، وإقرارهم بأنفسهم بربوبيته، وأنه الخالق للسموات والأرض جميعاً فيحججهم بقوله: ولئن سألتهم من هو رب هذا الخلق، فيقروا بذواتهم بأنه الله، فإن كان الله هو رب كل شيء فلم تتخذون من دونه أولياء لكم ليس لهم من النفع والضرر شيء؟ [٢]، أليس من الواجب عقلا بعد الإقرار والاعتراف من المشركين أن يتوجهوا بالعبادة لله وحده. وتأتي الحجة الرابعة للتأكيد على ربوبية الله تعالى، فهو سبحانه ـ بيده المنفعة والضرر، وهو الله ذاته يأتيكم ذلك بأمره ومقدرته، فهل يستوي الأعمى والبصير؟ وقصد بالأعمى من فقد البصر، والبصير من يرى الحق بقلبه وعقله وعينيه فلا يُمكن بأن يشتبه عليه أمر بعد هذه الرؤية، وجاء ذكر كلمة (النور) مفردة خلاف الظلمات؛ لتبين طريق الهدى إلى الله بأنه نور واضح ساطع لا يحتاج بعده لضوء ليدرك بعده حق آخر فهو يرى بالقلب والعقل قبل النظر فيؤمن ويوحد لله [٣]. واعتمدت الحجج على التشبيه والتمثيل بما هم

(١) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، (ط١، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧م).٢: ٥٢١.

(٢) ابن كثير، "تفسير القران العظيم"، ٢: ٤٩٢.

(٣) ينظر: محمود الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٢٥٠، ٢٥١ وينظر: أبو السعود: تفسير أبي السعود"، ٥: ١٢، ١٣.

عليه، وتقريب المعنى بالصورة الحسية، التي تعني الخيبة والخسران، وفقدان الأمل رغم شدة الحاجة.

مواضع الحجج وتسلسلها:

الحجة الأولى والثانية والثالثة في الآية الأولى: قامت على القصر بطريق التقديم، والقصر بطريق النفي والاستثناء، والمقدمة والنتيجة.

الحجة الرابعة: القصر بطريق التقديم، وحصر سجود كل ما خلق في السموات والأرض لله طوعاً أو كرهاً **الحجة الخامسة:** الاستفهام الإنكاري المتتابع، وفيه عجز الآلهة التي يعبدونها من دون الله عن نفع أنفسها فكيف تنفع غرها.

الحجة السادسة: الجملة الخبرية" ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ "

الحجة السابعة: التمثيل بحال من علم الحق واتبعه، ومن أعرض عنه بالأعمى والبصير، فالكافر الموغل في الجهالة النفسية لا يرى النور ولو كان مبصرا حسيا، أما المؤمن الموقن بالله تعالى فهو كالبصير الذي يهتدي إلى طريق الحق، وهما لا يستويان.

وقد تنوعت الحجج المتتابعة بين الخبرية والإنشائية، والحسية والعقلية، وكلها تهدف إلى ضرورة إعمال هؤلاء المعاندين عقولهم والرجوع إلى نداء الفطرة وهو توحيد الربوبية والألوهية، وأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى.

٢. ومن دلائل ربوبية الله تعالى في ذكره لخلقه وما هو جاعله من ذلك الخلق مسخَّر بأمره للناس، وجميعها تثبت ربانية الله في عظيم مقدرته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ

بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل :١٠ – ١٧]. الناظر في سياق الآيات واتساقها يرى أنها تتصدر بالحديث عن قدرته بعد الحديث عن تحقيق الوعيد لما هو موعود به، فكانت بداية نزول الآيات رداً على التهكم الذي تناقله المشركون عن آيات سابقة جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر وتكذيبهم بذلك الوعيد، فقيل لهم: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وروي أنه لما نزلت ﴿اقتربت الساعة﴾ سورة القمر، قال الكفار فيما بينهم: إن هذا يزعم أن القيامة قربت ، فأمسكوا عن بعض ما تعلمون حتى ننظر ما هو كائن، فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئاً، فنزلت: ﴿اقترب لِلنَاس حِسَابُهُمْ﴾ سورة الأنبياء، فأشفقوا وانتظروا قربها، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد، ما نر شيئاً مما تخوفنا به ، فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ، فاطمأنوا عما هم به [1]. وتأكيد على وقوع ما وعد الله به، وأنه ليس في مقدور البشر، وأن ما ورد في السورة من الآيات الكونية أيسر على الله مما وعد

(١) ينظر: محمود الزمخشري" الكشاف" ٢: ٥٩٢، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٣: ٧٦. ٧٧.

بوقوعه في استهلال السورة الكريمة(١).

أما تضافر الحجج في السورة فجاءت في آيات عدة جميعها تُثبت قدره الله تعالى في الخلق والتدبير وتيسير النعم لخلقه في الأرض دون حولٍ منهم، كما تثبت تفرد الله في ربوبيته، وأنه ليس له شريك في الحول والمقدرة، وخرجت الحجج في تناسق محكم، ووصلة واحدة للخطاب السابق للمشركين الذين شككوا بالدعوة وقيام الساعة فيما أنزل من قبل من القرآن الكريم، ونجد ابتداء الحجج المقترنة بتذكير الله المشركين بالنعم المحيطة بهم بحوله؛ استدراجا لتحقيق الوحدانية لديهم قولاً وعملاً، ودحض الإشراك مع الله في ربوبيته، فقد خلق الله سبحانه السماء بعظمته، وأنزل المطر بقدرته وكرمه، فالسماء التي رفعها جعل فيها السحب التي تسقيكم وأنعامكم يأتيكم الرزق من غير شقاء (٢)، وبعد تكوين المطر بأمره، وتيسير تلك السحب لتنزل الماء لهم فيه ماءً عذباً زلالاً يشربون منه ويسقي الأرض فيخرج الشجر ترعى به أنعامكم ، ومن هذه الأنعام المخلوقة جعل منها ما يملأ بطونكم وتطمئن قلوبكم عن جوع وفقر (٣)، كما سّخر بأمره الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، فجعل الليل والنهار يتعاقبان بين المعاش والراحة، ويتعاقبان فيها خلقين من خلقه الشمس والقمر كلاً يسير بحركة ومقدار لا يزيغ عنها، فلا تشعرون بشيء مما هو حولكم (٤)، كما سخر النجوم الثوابت؛ لتزين لكم السماء في ليلكم،

(١) ينظر: أبو السعود "تفسير أبي السعود"، ٥: ٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" ٢ :٥٤٤.

(٣) ينظر: ابن عاشور "التحرير والتنوير" ١٣: ٩٣. وينظر: محمود الزمخشري "الكشاف"، ٢: ٥٩٤ ـ ٥٩٩.

(٤) انظر: ابن كثير "تفسير القرآن العظيم"، ٢ :٥٤٤.، وينظر: أبو السعود "تفسير أبي السعود"، ٥: ١٠٢، ١٠٣.

وتضيء بأُنسها ظلمة الليل فلا تخافون ولا ترهبون، وفي هذا دلالات وبراهين للعظمة الربانية الواضحة في خلقه والتي يحتاج عقل حصيف، حتى يرى معالم الوحدانية ماثلة ومقدرته العظيمة؛ وفي كل تذكرة لمن تفكر(١).

وقد دلت المشاهد الكونية، والنعم الإلهية على ما لله من صفات الوحدانية والقدرة والتدبير والإحكام، وفي هذا حث على التدبر والاستنتاج بمنطق العقل والفكر، فضلا عن تحريك مشاعر النفس، وملازمتها الفطرة النقية، وتنبيه الوجدان إلى الحقيقة التي لا تقبل جدالا أو نقاشا، وهي وحدانية الله تعالى في ملكه وسلطانه، وليس على المرء سوى التسليم والانصياع، والتيقن من قول الله الحكيم.

وتتوالى الحجج بتدريج عجيب ومحكم، فجاءت الحجة الأولى في إنزال المطر عذباً زلالا فينعم به الخلق من الناس وينبت لهم الزرع لتأكل أنعامهم، وفي كل هذا متاع لكم وجميعها حجج لمن تفكر بالمقدرة، فالذي سخر السحاب كي تحمل لهم المطر وتنزله عليهم في أرضهم وتتبعها بكل هذه النعم لا يمكن أن يكون مقدرته مشتركة، فهي آيات لا يمكن أن تكن إلا مع رب واحد يسيِّر خلقه كيف يشاء ويسخر من خلقه ما هو جاعله يدور لمنفعة الناس ولكن لا يدرك ذلك إلا أهل التفكر والعقول(٢).

وتأتي الحجة التالية متضافرة مع سابقتها في نفس التكوين الرباني للسماء، وما هو مسخَّر بأمره للخلق، فالله خلق الشمس والقمر وجعل منها الليل والنهار مسخَّرات مزين ليلها بأفلاكها ونجومها ففي ذلك تذكير بالمقدرة العظيمة بالتيسير

(١) ابن كثير "تفسير القرآن العظيم"، ٢ :٥٤٤.، وينظر: أبو السعود "تفسير أبي السعود"، ٥: ١٠٢، ١٠٣.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ١٤: ١١٨،١١٩.

والدقة في الحركة والثبات فيها فلا شيء يربك الناس أو يخيفهم فكل شيء سائر بسلطانه، وكذلك تأتي الحجج تباعاً فيما هو خلق لكم ما في الأرض فلو نظر المشركون في كل ما هو حولهم مسخر لهم بأمره لعلموا أن كل ذلك دلالات بينه من رحمة وكرم من الله لتسخيره وتسهيله معاش الخلق، وما هم فيه فلم يترك شيء لهم إلا كان بأفضل مما تدرك عقولهم وترجوه نفوسهم، فليس بعد هذه الحجج إلا الطريق للإفراد لله بربوبيته وإن التفكر بكل تلك الآلاء تجعل المرء موحداً قطعاً غير أن من أشرك علم الحق البين وتجاوزه ظلماً وطغيانا(١).

ومن ثم تأتي الآيات التالية مقرونة في حججها مع سابقتها من الآية ١٤إلى الآية ١٦. والاحتجاج هنا يقوم على التذكير بقدرة الله على تسخير البحر للإنسان لينعم بخيراته، وما يخرج منه من لؤلؤ وأحجار تلبسونها وتتجملون بها، وما فوق البحر من إرساء البواخر لتجوب البحار، وتقطع بها المسافات، وبعد هذا الفضل العظيم والنعم الغامرة تتوجهون لغيره بالعبادة، ولا تؤمنون بقدرته سبحانه على الخلق والإيجاد والتسخير، إن في كل ذلك عبرة ودلالة على مقدرة عظيمة من رب عظيم حليم ورحيم بنا.

وقد جاءت الحجج مقترنة ببعضها مرتبطة لاحقتها بسابقتها، مرتبة النسق بما هو مخلوق أولاً وما هو مسخر منه ثانيا، وربطت الحجة الأولى بالثانية فالأرض يخرج ما فيها بما أنزلته السماء من الثمرات والنخل والأعناب وما هو مسخر من المعادن والجمادات من كل شكل ولون فكانت دليلاً ثانياً على المقدرة الربانية بأن تنزل السماء ما فيها وتخرج الأرض ما بها مما تعجب به النفوس، وتأتي الحجة الثالثة التي تقوم على تصوير وما فيها من الشمس والقمر وجعل منها تعاقب الليل والنهار كلاً

(١) ابن عاشور،" التحرير والتنوير"، ١٤: ١٢٠

يسير في مساره، والحجة الرابعة فيما هو في الأرض فلم يترككم الله فيها لتشقوا فقد أخرج فيها وسخر منها من كل شيء كانت كفيلة لتوحيد لله بالربوبية لو كانوا قوم يتذكرون من خالق ذلك كله؟

فتوالت الحجج في نسق ممتع وعجيب بين الخلق وما هو مسخر وجاعله منها وارتباط ما هو لاحقها بسابقها فكانت الحجج أكبر الدلائل على وحدانية الرب والتسليم المطلق والتصديق البين، وأن المشركين وغيرهم مما يتدبر الخلق ويتفكر فيه لوجد أنعم الله في كل خلقه والتسخير منه رحمةً وكرماً وأن عظمته وسلطانه ليس فوقها شيء، فالربانية لله وحده جلية ولكن من لا يتذكر لا يتفكر ومن لا يتفكر لا يعتبر ويشكر والله غني ونحن له مفتقرون.

تسلسل الحجج:

يلاحظ التسلسل الظاهر في عرض الآيات والأدلة على وحدانية الله تعالى، فبدأ بالحديث عن خلق السموات والأرض، ثم أتبعه بخلق الإنسان وما يلزمه من سائر الضرورات الحياتية، حيوان ونبات نتيجة للمطر النازل من السماء، ثم التصعيد بأن يجعل منها ما يغير في الأرض تنبت منه كل الثمرات وأن تسخير للشمس والقمر بين ليلة ونهار رحمة من الله أي بين سبات وما عاش وجعل منها زينة تؤنس الناس في ظلمة الليل وتدعو للتدبر في عظمة هذا الخلق الذي لا بد من أن يكون لها رباً واحد وهو الله سبحانه وتعالى حتى يبدأ بذكر الأرض التي يخرج منها بعد ما هو محقق من السماء من ماء ليكون الترابط فيما بينهما بذكر المنافع، وفي ذلك آيات ودلائل وبراهين بربوبية الله ومقدرته وعظمته في هذا الصنع، وأن هذه الآيات جاء منها بأن من سيدركها ستزيده إيماناً وهم المتفكرون المتعقلون المتذكرون المهتدون.

لقد خرجت الحجج في تناسق محكم، وتصعيد في دلالاتها، وتسلسل متناسق في النظم والترتيب والتأليف والتركيب مع موضوع السورة الكلي وهو إثبات توحيد

الربوبية على:" الوجه الأكمل، والترتيب الأحسن، والنظم الأبلغ.

شبهة أن الخالق هو الله، لما ثبت من وحدانيته، وتمام علمه وقدرته، وكمال حكمته، لجعله تلك الدلائل نعماً عامة، ومناً تامة، مع اتضاح العجز في كل ما يدعون فيه الإلهية من دونه، واتضاح أنه سبحانه في جميع صنعه مختار، للمفاوتة في الوجود والكيفيات بين ما لا مقتضى للتفاوت فيه غير الاختيار، فثبت بذلك أنه قادر على الإتيان بما يريد" [1]، وهذا ما بدأت السورة "أَتَى أَمْرُ اللهِ"، وتتجلى الحجج فيما يأتي:

الحجة الأولى: خلق السماء وما فيها من تسخير بأمر الله بأن يجعل منها دلائل من الخير والنفع للإنسان والمخلوقات من دون حول ومقدرة منهم.

الثانية: التكوين الرباني للسماء مع المنفعة ومع ما جعله فيها من زينة تؤنس وحشتهم وتدلل على وحدانية الرب.

الثالثة: أن يجعل هذا التكوين وبما فيه من منفعة وزينة يسير وفق تقدير ثابت لا يزيد ولا يميل ولا يتحرك منها شيء بمقدار ذرة إلا بأمر الله فثباتها واستقامتها بمقدار ومسارات محددة تدلل على عظمته وسلطانه وربوبيته سبحانه وتعالى.

الرابعة: خلق الأرض تمهيداتها وتثبيتها للناس دعوة للتفكر في عظمة الخالق والأفراد له في الربوبية.

وجاءت الاستدلال من المقدمة المسلمة للنتيجة وما يترتب عليها من ضرورة وحدانيته سبحانه، واستحالة أن يشاركه فيها أحد[2].

(١) برهان الدين البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (ط٢، بيروت: دار الكتاب العلمية ٢٠٠٣م)، ٤: ٢٥٥.

(٢) ينظر: أبو السعود محمد العمادي" إرشاد العقل السليم"، ٥/ ١٠٣.

الخامسة: المحاجة بالنظر أيضا للبحر وما أكتم في جوفه من العجائب والدلائل ومما فيه من غذاء شهي وطري وأن يكون فيها ما هو زينة للناس كما في السماء والكواكب.

السادسة: الاستفهام والمحاججة عن عجيب أمر من كذب هذه النعم بأن يساوي من له كل هذه المعجزات في الخلق وتزيد كلما تدبر الإنسان وتفكر، فكيف بهم أن يساووا ذلك بمن لا يخلق ولا ينفع لهم شيئا؟!

المبحث الثاني: الاقتران الحجاجي في إثبات الألوهية

الأدلة على توحيد الألوهية القائمة على الحجج المتتابعة في القرآن الكريم كثيرة، ومنها:

١. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام ١-٦].

استهلت آيات سورة الأنعام بالحمد والثناء على الله بصفاته العليا الكاملة، وقد نزت جملة واحدة؛ "لقطع تعلل المشركين في قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[الفرقان:٣٢]، توهما منهم أن تنجيم نزوله يناكد كونه كتابا"(١)، وجاء الحمد لله في بداية السورة مدحاً لنفسه استحقاقا له وحده، وأن كل ما في الكون يشهد بالحمد والوحدانية، والتسبيح على الدوام، ووهناك من الإنس

(١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٦: ٦.

ما يحتاج من حين لآخر إلى التذكير بتوحيد الله ، والاعتراف بقدرته وبنعمه الظاهرة والباطنة ، وقدرته تعالى بخلق السموات والأرض، وبجعل الظلمات والنور وتعاقبها من الليل والنهار وهذه من الدلائل على ألوهيته ومن لوازمها عقلا بتوحيد العبادة له ، وقد تعاقبت الحجج لتدليل على ألوهيته ،ومنها التذكير بقدرته في الخلق ثم وصف الظلمات والنور وفيها تذكرة لمن اتبع الهدى ولمن ضل في ظلماته وزحزح عن طريق الحق والبيان؛ وتتضافر الحجج، لتأكيد ألوهية الله بقدرته العليا فيذكر الله تعالى بنو آدم بخلقهم الذي هو نشأه وأنهم خلقوا من طين وما أنتم أيها الخلق إلا سلالة من ذلك الطين ثم كتب لكم مدة البقاء والأجل الموعود غير المحدد لا يعلمه إلا هو، ثم ذكر علو مكانته وقدرته وعلمه ومعرفته فيما هو فوق السموات وما في الأرض ويوحدنه ويعبدنه ويقرن له بألوهيته إلا من كفر، وإن من دلائل ألوهيته أيضاً علمه بكل صغيرة وكبيرة سراً وعلناً من كل عملاً شراً أو خيراً ومن هذا فإنه جل وعلا وحده الإله المستحق للعبادة [١].

ويخبرنا الله تعالى عن حال الكفار المعاندين المكابرين الذين يبغون الشرك ويتبعونه ولو جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله جل وعلا، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعوا به، حتى يأتيهم الحق ويظلوا عنه معرضين وجاحدين وزادوا على ذلك بقبح فعلهم يستهزؤوا بدعوته وبالحق الذي جاء به فسوف يعد لهم الله جزاءهم باستهزائهم وتكذيبهم وما هم به يفترون.[٢]

تسلسل الحجج:

١. الثناء من الله على نفسه وصفاته الكاملة العليا

(١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٦: ١٥

(٢) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٧: ٢٥٦، ٢٥.

٢. الإشارة إلى الخلق وما يجعل منه بأن يخلق السموات والأرض وما فيها من خير ورزق وأنعام تنزل من السماء وتخرج من بطون الأرض وما فيها من دلائل وبراهين لما تدبر فيها جعلت له نبراسًا يضيء له عن ظلمات الشرك والكفر.

٣. خلق السماوات والأرض لما فيها من كواكب فيها نور تنير طريق الناس في حياتهم كما هو نور الهدى الذي يتبع من المؤمنين، وأتبعها بذكر الأرض التي فيها معاشكم تسيرون فيها وما في باطنها من الظلمات.

٤. التذكير بخلق آدم من طين الذي هو من تراب هذه الأرض وهو أبسط ما فيها عن ماذا تتكبرون وتتجبرون عن هذا الأتباع للهدى.

٥. علم الله سبحانه وتعالى بالسر والجهر، وهذا دليل على أنه يعلم أمر كل شيء فيما مضى وما هو يمضي وما سيمضي وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا هو وحده سبحانه كالعظمة والمقدرة والوحدانية الخالصة سبحانه وتعالى أن يكون له شريك.

٦. الاستفهام التعجبي (ألم) يبصروا ويعلموا كم هلك قبلهم من الأقوام أعطوا مثل ما أعطيتهم أيها المشركون من التمكين في الأرض والقدرة والتصرف وننزل عليهم من السماء ما يجعل الأرض تجري بأنهارها فكفرتهم بكل دلائل ألوهيته المعطي وكذبوا برسله وما يدعونكم به لتوحيدي فليس لكم من عقول تعض عما حل بسابقيكم ولا عما هو الآن معطيكم فإن الهلاك واقع بكم ما لم تتوبوا عن ذنبكم(١).

وتنوع الحجج المتضافرة بين المقدمات والنتائج، كما تركز على الأخبار الصادقة الموجبة للإيمان بالألوهية حيث تدرك بالقياس والتمثيل على من قدر على الخلق والإيجاد والتسخير فهو الأولى بالعبادة دون سواه، وأن الصور الحسية خير

(١) ينظر: شهاب الدين الخفاجي"، حاشية الشهاب الخفاجي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧). ٤: ٣٣. وينظر: أبو السعود، "تفسير أبي السعود"، ٣: ١١٠، ١١١.

دليل على ذلك.

٢. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٩. ١٩٥]. الآيات تتضمن تقرير دليل توحيد الألوهية وإبطال الشرك الذي يتمسك به المشركون المخاطبون بها؛ بقصد إقامة الحجج عليهم، وبيان فساد عقولهم حيث استسلموا هم وأباءهم في التوجه بالعبادة للأصنام مع أنه لا تملك لهم نفعا ولا ضرا.

الحديث في الآيات يتناول بالحجاج العقلي المتتابع قضية توحيد الألوهية، وبدا ذلك من فعل الأمر(فَٱدْعُوهُمْ) الدال على العجز عن الاستجابة؛ لكونها لا تملك لنفسها النفع والضر، فكيف تستجيب لغيرها، وهي ليست سوى أحجار لا تملك الحركة، ولا الروح بل هي صماء، أليس هذا دليل على غياب عقل هؤلاء، وإبطال التفكير فيما يتوجهون إليه بالعبادة. وفي قوله سبحانه "جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا" خبر مراد به التعجب من سفه عقول المشركين؛ حيث جعلوا لله شريكا بلا استحقاق،

وقد حوى تذييل الآية:(فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) على حجة ثانية، وهي: تنزيه الله سبحانه عن الشرك، مما يترتب عليه تفرده بالخلق. والحجة الثالثة والرابعة في قوله" أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ" الاستفهام غرضه الإنكار والتوبيخ من المشركين، فضلا عن التعجب من عقولهم، والتعريض بسفاهة تفكيرهم، وينسحب معنى التعجيز على جملة الحجج المتتابعة. إذ كيف يتوجه بالعبادة لمن عجز عن الخلق، وعن نصرة من يتوجه له بالعبادة فضلا عن نصرة نفسه، ونلحظ دلالة التجدد والاستمرار في الإشراك، وكذلك التجدد والاستمرار في نفي الخالقية والنصرة (١).

ويلحظ القارئ للآيات مرة تلو الأخرى المنطق المقنع بصدق القرآن، وإبطال أدلة هؤلاء المعاندين الصادين عن الله تعالى، وفي توالي الاستفهامات في قوله تعالى " أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا...الخ" أدلة متتابعة على العجز، وداع إلى اليقظة والتفكر، كما أن تتابع الأدلة وارتفاعها درجة قوتها مع الإقناع الهادئ والفاعل يجلي الحقيقة المطلقة، وهي أن الله واحد في ملكه وسلطانه، وهو سبحانه هو المستجيب لكل داع له بإيمان وصدق.

لقد بلغ عدد الحجج المتضافرة ست حجج تنوعت بين الحسية والعقلية، وكلها يسر فيها معنى التعجيز والتعريض والتبكيت والتوبيخ للمشركين لعدم إدراكهم الحقيقة بعقولهم، فضلا عن يرونه بعيونهم، وإصرارهم على الإشراك بالله تعالى.

ونلحظ تسلسل الحجج وتنوعها.

الحجة الأولى: خلق الله البشرية من نفس واحدة.

الثانية: عجز الأصنام عن خلق أي شيء، وفيه تبكيت وتوبيخ للمشركين.

(١) ينظر: محمود الزمخشري "الكشاف"، ٢: ١٨٦. ١٨٨، وأبو السعود "تفسير أبي السعود" ٤: ٣٠٢. ٣٠٦، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٨: ٣٨٣. ٣٩٦.

الثالثة: العجز عن نصرة ما يعبونهم، وينسحب ذلك على عجزهم عن نصرة أنفسهم.

الرابعة: عدم استجابة الأصنام لدعاء من يدعونهم، كيف ذلك وهي صامتة أمام أعينهم.

الخامسة: التسليم بأنهم عباد مثلهم مجازا، فكيف ينصر مساو مساويه في القدرة والخلق؟

الساسة: الاستفهام الإنكاري التعجيبي المتتابع يدل على العجز عن النصرة والنجدة، وهو حجاجي عقلي دال على العجز بكل ما يحمله من معنى.

٣. من آيات إثبات ألوهيته في التركيز على إبطال معتقدات المشركين من خلال تتابع الحجج، بحيث منهم من يؤمن بوجود الله ولكن يشرك معه بالعبادة فجاءت من الآيات ما تثبت إبطال هذه المعتقدات وتركز على إثبات وحدانية الله بألوهيته كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨ . ٩١]. يقرر الله وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، وليرشد إلى أنه لا إله إلا هو، وما من أحد مستحق للعبادة إلا هو وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله صلى الله عليه وسلم – أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه الإلهية، فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا، ولا

يملكون شيئًا، ولا يستبدّون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه [1].

وجاء التذكير عما هم به يعرفون ويسلمون به من أعراف، فيحاججهم بأنه هو السيد العظيم الذي يجير الخلق جميعه، فجاء الإثبات للمخبر عنه بالاستفهام بـ –من– وتأكيده على المشركين بفروغهم إلى الجواب فيواجههم بأن ينكروا قولهم بأنفسهم، فكان الغرض للإخبار والإلزام بالحجة، وحصول التبكيت باستدراجهم نحو النتيجة التي ستسطع لهم[2]، وأنه هو القادر على الجائر والمجير ولا يستجير بشيء، فلا أعظم من الذي له الخلق والأمر ولا معقبة على حكمه الذي ما شاءه هو كان، وما لم يشاء لم يكن فما بعد ذلك إلا أن يقروا بأن العظمة والعزة كلها لله، ويعترفوا بأنه مالك الخلق وإنه يجير ولا يجار عليه وهو الواحد الذي لا شريك معه بالعبادة، ثم تتابع الآيات للتأكيد والمحاججة على ما في عقولهم بقوله:﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾، فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم بعد ما تبين لكم الحق واعترافكم به؟ فليس لكم عذر، فأتيناكم الحق البين بأن ليس مع الله إله غيره والأدلة واضحة قاطعة فها أنتم لها كاذبون ومع الله مشركون بالعبادة فلستم على طريقكم مفلحون.

وتتوالى الحجج بأن يذكر المشركين بوحدانيته وتنزيهه لنفسه في قوله سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. جاء الاستدلال على وحدانيته بانتفاء الشركاء له، وسبقت النتيجة المقدمة مع اتحداهما في المعنى؛ لكونها الأهم، وأنها حتمية ولو لم يقترن بها دليل، وجاء النفي بما: (ما اتخذ– ما كان) لنفي القول، وإثبات خلافه لمقابلة صدق الهدي، وبيان الحجة وتقريرها على

(١) ينظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ٢٤٥

(٢) ينظر: ابن عاشور، " التحرير والتنوير" ١٨: ٩٢، ٩٣.

المشركين. وجاءت (إذا) للربط الحجاجي بين الشرط المقدر (لو) وجوابه.

تسلسل الحجج:

بدأت الحجج بالاستفهام عن ملكوت كل شيء؟، ثم الإقرار منهم بأن الله له ملكوت كل شيء يتكرر الاستفهام عنما بال عقولهم التي تسحر من إعلانهم للحق واتباعه بعد بيانه؟!

ثم تجمع الآية التالية تأكيد ظهور الحق ووصفهم بالكاذبين ليبين حالهم رغم البراهين التي تبينت لهم وإعراض عقولهم وإخراس ألسنتهم حتى يبكتهم على قولهم، ويبين بأن ذلك الملكوت للسموات والأرض هو أبعد من أن يحاجوا به عنه فإن الكون الذي هو بأمر الله يسير في تناغم وانسجام عظيم ولو كان هنالك إله غير الله لذهب كل إله فيما هو متصرف فيه ولكن كل ذلك تحت تصرف إله واحد يجري بأمره وملكوته فأين ما هم به يشركون؟! ثم تحقق لهم ربط التسليم الأول بأن هنالك إلهًا خالقًا للكون، ولكن ليس واحدا كما يزعمون حتى تقيم عليهم الحجة، وتطرد مزاعمهم ومعتقداتهم الباطلة من خلال استدراج عقولهم عما هم به يُسلمون إلى ما هم يظنون حتى يقفوا على البرهان القطعي بأن كل شيء تحت تصرف إله واحد يقدر ولا يُقدر عليه سبحانه وتعالى عما يصفون.

الحجة الأولى: الدعوة للتذكير عما هم به يستجيبون ويقرون، وطلب أن يستجيروا بآلتهم إن كانوا يقدرون.!

الثانية: التأكيد على أنه قادر على الجائر والمجير ولا يستجير بشي، فله العظمة التامة المطلقة.

الثالثة: بيان الحق لهم، والتعريض بذهاب عقولهم بعد ظهور الدلائل، وظهور إبطال معتقداتهم عقليا.

الرابعة: تناغم الكون وانسجامه بدقِّه وجِلّه دليل على أن الله وحده يسيره.

وقد سيقت الأدلة مرتبة بطريق الترقي، فجاء السؤال عن مالك الأرض ومن فيها، ثم الاستدلال بربوبيته السماوات والأرض والعرش، ثم لما هو أعم وأشمل، وهو تصريفه المطلق للكون كله.

وكان الحجاج العقلي أساسا في الإثبات على وحدانيته ـ سبحانه ـ حثا لهم على إعمال العقل، واستمالتهم بالحقيقة المطلقة، وتتابعت النتائج لمزيد من الإفحام وإسكات صوت الباطل بالأدلة.

المبحث الثالث: آليات الاقتران الحجاجي في آيات التوحيد

يتسم الاقتران الحجاجي بجملة من الخصائص المفعلة بالخطاب التي تنتهي للوصول إلى الجوهر المهم، وهو الإقناع والاستمالة والتأثير، وبيان دلائل ذلك على المتلقي بشكل عام، كما يتسم بجملة من الخصائص البلاغية العالية وتقنياتها في جذب المستمع للاتباع والانسياق فيما يطرحه النص الخطابي الحجاجي، فلذلك نجد العناية البالغة الثرية في التكوين الحجاجي في القرآن الكريم وفي الاقتران الحجاجي بشكل مخصوص.

١– الاستدراج:

من أهداف القرآن الكريم الاستدراج والاستمالة مستخدما كل التقنيات البلاغية للوصول إلى هدفه المنشود، وهو يقوم على الملاطفة والتدرج بقبول القول، والملاينة في الخطاب، وهذا أقرب لروح الدعوة، وأسرع إلى تحقيق غايتها في اهتداء المدعوين إن أجابوا، أو إقامة الحجة عليهم إن عارضوا، وهذا واضح في مقام مخاطبة الأنبياء لأقوامهم، ودعوتهم إلى الله تعالى أكثر أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فكان الأسلوب المعتمد من الأنبياء عليهم السلام، في تبليغ رسالتهم، و استنزالهم من رتبة الكفر والظلال إلى الطاعة لله تعالى ومرضاته[١].

ولما كان الحجاج يقوم على فهم المقام لإلقاء النص الخطابي، فإن أسلوب الاستدراج يقوم المتكلم فيه على بدء خطابه بالتمهيد والمواطأة، فالمرسل يتدرج مع المستقبِل ببطء، وألا يفرض عليه تغييراً سريعاً، لأن النفس لا تحب التغيير المفاجئ في

(١) ينظر: أحمد السيد طلحة داود، "الاستدراج في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية"، (ط١، ب. ط، ٢٠٠٤م). ص١٥.

نمط حياتها وتقاومه [١].

ويكثر هذا الأسلوب تحديداً في مقام الحجاج مع منكري وحدانية الله سبحانه وتعالى ومنكري البعث والنشور وحجاج أهل الكتاب وتفنيد مزاعمهم، وفي القرآن سعة من هذا [٢].

ومن موجبات الاستدراج التلطف بالمخاطب، والقدرة على كشف ادعاءات الخصم، من خلال تقنيات القول، والمعرفة بما تميل له نفوس المستمعين، وهذا البناء من حيث الإيجاد والترتيب والتأليف هو ما قام عليه الكثير من نماذج الاقتران الحجاجي من خلال عن سؤال الخصوم بـ "من" أو الاستفهام الإنكاري التعجبي "ألهم" وفي هذا تحريك العقل نحو التفكير والمراجعة، أو الاستفهام عن النعم المحيطة به، أو مطالعة الكون المنظور في السماء أو في الأرض للوصول إلى الاقتناع والتأثير، وبيان الحقائق والدلائل عليه. وبدا ذلك واضحا في آيات سورة الرعد والأعراف والمؤمنون.

حيث وظف الاستفهام التقريري لاستدراج الخصم، وإلزامه الحجة؛ لكونها الشك فهي شاهدة ومرئي لكل ذي عينين، "قل من رب السماوات والأرض"، "قل الله" وهذا الإقرار يلزمه الاستجابة للأمر، فإذا رفضه كان الإنكار والتوبيخ لتناقضه ما اعترف عما يطبقه عمليا.

وجاء التدرج في عرض الحجج من حيث مستوى القوة، من خلال النماذج التي وقفنا عليها، حيث التحدي لهؤلاء وبيان أن ما يعبدونهم لا تملك نفعا ولا ضرا ولا نصرة ونجدة لهم فضلا عن نصرة أنفسهم، وبهذا، تتحقق الحجة عليهم بعد محاولات عدة لإنكارها عن طريق الاستدراج.

(١) ينظر: السابق، ص٢٠٤.

(٢) ينظر: السابق ص٢٩.

ومن أساليب الاستدراج التمثيل بما هو واقع، أو بما هو مشاهد على قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد، وأن من قدر على ذلك لزم الاتباع والإيمان ووحدانيته قال تعالى:" وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ"، " أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ "

٢– الترقي في تتابع الحجج:

الترقي يعني الصعود والارتفاع والانتقال في التدرج من حال إلى حال، والانتقال من الحجج الجزئية إلى الكليات في تنظيم الحجج وتسلسلها تباعاً بما يتناسب العلو بها لتكون أكثر سلاسة للفهم والقبول والتأثير والإقناع، وأكثر إذعانا للمتلقي(١).

والترقي في اقتران الحجج بدايةً يكون بعد طرح الحجة الأولى فيأتي الترقي بعدها في الحجة الثانية بأن تكون أعلى من الحجة الأولى وأكثر قوة، وهكذا حتى انتهاء الحجج المتتابعة، فيكون بذلك أسلوب تصاعدياً بعد الحجة الأولى.

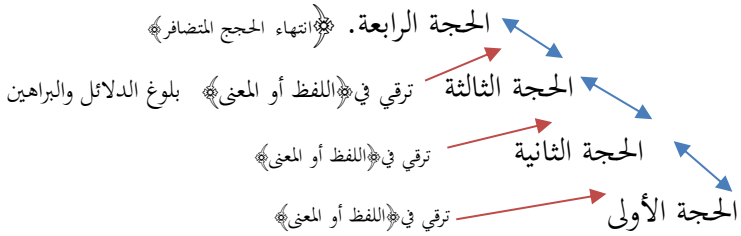

وفي المقابل لذلك تكون المزاعم للخصوم في أسلوب الترقي، تتدرج من أعلى إلى أسفل تنازلياً لضعفها وهونها وبطلانها، فأسلوب الترقي في الاقتران الحجاجي من أهم الأساليب المتبعة التي تدحض الحجج وتدعو إلى طريق الحق دون عداء إلا من تبين له

(١) ينظر: أحمد طلحة داود، "أسلوب الترقي في القرآن الكريم"، ١٠.

الحق وأراد التكذيب وإتباع الظلال. فإذا كان الترقي يرتقي بالحجج من الأدنى للأعلى ومن الأعلى للأعم والأقوى والأشمل، فيبين لنا أن الخصوم عادة تكون حججهم من الأعلى حتى تسقط وتدحض كما يتبين لنا ضعف الترتيب في أساليب المكذبين، فتكون على الشكل التالي:

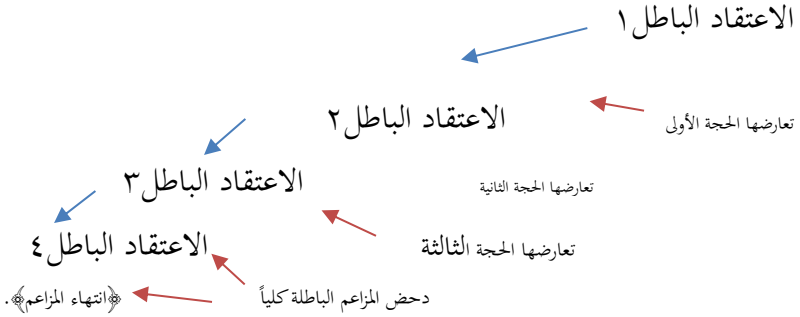

وهكذا تترقى الحجج في الاقتران الحجاجي، فكلما كانت المزاعم والظنون متعددة تتعدد معها الحجج المتضافرة في إبطالها، حتى تُدحض بالكلية، والفارق فيما بينها هو وجود الحقائق والدلائل وأن الترقي يأتي تصاعديا، ومزاعم واعتقادات المشركين تأتي تنازلياً، وكان للترقي مواطن كثيرة في التحاجج منها: في تصعيد الرد منكري الربوبية والإلهية، وفي إثبات القدرة الربانية، ويشكل كذلك الترقي في الاستفهام التقريري والإنكاري والتعجبي. ومن آيات الترقي في الاقتران الحجاجي:

١. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا.
٢. أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ.
٣. وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ.
٤. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ.

٥. لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا.
٦. قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ.

٣– تنوع الأدلة والبراهين:

جاءت الحجج المتضافرة متنوعة فنجدها في مواطن متتابعة ببرهان من نوع واحد مثلاً أن تأتي حجة عقلية تتضافر معها حجة عقلية أخرى، أو أن تكون حجة حسية وما بعدها حجة حسية أخرى وهكذا حتى نهاية التحاجج في مقام محدد، أو أن تكون مما يغلب فيه الحجج المتضافرة متتابعة حسية ونجد فيما بينها حجة من نوع آخر تاريخية أو نفسية، وفي مواطن أخرى تتنوع في تضافرها بين حجة حسية وتنتقل إلى حجة نفسية ثم إلى حجة تاريخية.

ومن هذا التنوع يمكننا أن نقسم الاقتران الحجاجي لثلاثة أقسام:

٧. حجة عقلية متضافرة مع حجة عقلية أخرى ثانية حتى نهاية الآيات المحاجج بها.
٨. حجة عقلية تتضافر مع حجة عقلية تتداخل مع حجة حسية ثم تعود لنوع الأول حجة عقلية وهكذا حتى نهاية آيات الاحتجاج.
٩. حجة عقلية تتضافر مع حجة حسية ثم حجة تاريخية حتى نهاية الاحتجاج.

وجميعها جاءت في نفس القيمة اللفظية والمعنوية، والتركيز المهم هنا ما نجده من قوة ورصانة في الرفع من مستوى الكلام للإقناع والتأثير على حد سواء، وكيفية تخاطب مع العقل البشري بالتنوع مع جميع ما هو يؤثر به من مسلمات أو معتقدات أو شعور وعواطف، وأن هذا التنوع جاء متمحوراً بما يتوافق على المقام للمخاطب والمزاعم التي تكون بالموقف من قبل الخصوم.

الخاتمة:

بعد الوقوف على النماذج التي تضافرت فيها الحجج في آيات التوحيد، نذكر أهم النتائج:

- أن الحجج المتتابعة في توحيد الربوبية والألوهية اعتمدت على الآيات الكونية، وبيان قدرة الله في خلق الإنسان، وخلق السموات والأرض.. إلخ.
- إلجام القرآن المعاندين وإسكاتهم بالحجج المتتابعة، بعد إقرارهم من خلال الجواب عن الأسئلة بوضوح، فضلا عن وهن أدلتهم.
- تنوعت المقامات التي تضافرت فيها الحجج، ومنها مقام توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وقد أقر المعاندون بربوبيته تعالى، وكان التعجب من تناقضهم، إذ كيف ينصرفون عن عبادته بعد إقرارهم بأن الله هو الحق؟
- خروج الأمر لمعنى التعجيز عن النجدة والنصرة، وبدا ذلك في آيات سورة الأعراف، وآيات سورة المؤمنون.
- تنوعت الحجج المتابعة من حيث الحسية والعقلية، وفي الأنفس والآفاق، وتسخير الكون للإنسان حتى تقام عليه الحجج.
- كان للتقنيات البلاغية في تضافر الحجج دور بارز في الإقناع والتأثير، وبدا ذلك في الاستفهام المتتابع بمعانيه المختلفة، وفي تقريب المعاني من خلال التشبيه والتمثيل.
- تنوعت صور الخطاب وأهدافه، كالترقي والاستدراج، وبدا ذلك في تصعيد الاستفهامات بأغراضها المختلفة، أو الأدلة الكونية.

- الاستدلال بطريق المقابلة، ونفي التساوي بين أشياء التي لا يقبلها العقل، كنفي المساواة بين العلم والجهل، والخلق وعدمه، والنور والظلمات، والبصير والأعمى.
- بدا التسلسل والتصعيد والترقي والتنامي والتدرج في الأدلة واضحا في الآيات التي وقف عليها البحث، حيث يفضي كل دليل لما بعده في اتساق محكم، ونظم بديع، وترابط قوي؛ بغاية الوصول إلى الإقناع والتأثير.
- تنوع وسائل الربط الحجاجي، ومنها (إذا) في الجواب، وأدوات الشرط الظاهرة والمقدرة.

التوصيات:

هناك عدة توصيات ومنها:

- دراسة الاقتران الحجاجي في آيات البعث والنشور.
- دراسة الاقتران الحجاجي في خطاب أهل الكتاب.
- دراسة الاقتران الحجاجي في أدلة المعاندين ودحضها في القرآن الكريم.

خالص الشكر والتقدير لجامعة حائل ممثلة في عمادة البحث العلمي على دعمها لبحوث طلاب الدراسات العليا، وجاء البحث برقم (GR-22109)

المصادر والمراجع:

ابن تيمية، أحمد تقي الدين. "مجموعة الرسائل الكبرى". تحقيق محمد أنس مصطفى الخن (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب. ت).

ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير" المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي. (ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ بيروت لبنان، ٢٠٠٠م).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس. "مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام هارون، (ط١ دمشق: دار الفكر (١٩٩٨م).

ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي بن محمد سلامة. (ط٢، المدينة المنورة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢ السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).٧: ٨٥.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل. "لسان العرب"، (ب. ط، بيروت: دار صادر، ب.ت).

أعراب، حبيب. "الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري" عالم الفكر م٣٠ عدد١ (٢٢٠١): ٩٧.١٣٨.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز. "التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ". (ط١، الرياض: دار التوحيد، ٢٠٠٣م).

الألمعي، عوض زاهر بن عواض، "دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، (ط١، ب. ن، ١٤٠٥).

الألمعي، زاهر عواض الألمعي. "مناهج الجدل في القرآن الكريم"، (ط٢، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٤هـ).

البقاعي، برهان الدين. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، (ط١، بيروت: دار الكتاب العلمية ،١٤١٥هـ).

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. "البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل". المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم. "الجامع الصحيح المسمى صحيح". (ط١، بيروت: دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة، ١٩٩٤م)

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر. "حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي". تحقيق عبد الرازق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٧م). دار إحياء التراث العربي، ب.ت).

داود، أحمد السيد طلحة. "الاستدراج في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية"، (ط١، ب. د، ٢٠٠٤م).

داود، أحمد السيد طلحة. "أسلوب الترقي في القرآن الكريم مواقعه وأسراره". (ط١، ب.د،٢٠٠٢م).

دراز، محمد عبد الله، "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن" (ط٧، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٣).

الدريدي، سامية. "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه". (ط١: الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م).

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين محمد. "المفردات في غريب القرآن" ضبطه هيثم طعيمي. (ط١، بيروت:

رشيد رضا، محمد. "تفسير القران الكريم الموسوم ب المنار". تحقيق فؤاد سراج عبد الغفار. (ط١، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م).

الزاملي، أحمد علي. "منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين" (ط، ١٤٣١هـ).

الزمخشري، محمود بن عمر. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". (ط١، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧م).

الشهري، ظافر عبد الهادي. "استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد ١٤٤٠).

صولة، عبد الله، "نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات". (ط١، تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١م).

صولة، عبد الله. "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية"، (ط١، تونس: دار الفارابي، ٢٠٠٧م).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).

عبد الرحيم، منتصر أمين "الأداء لحجاجي وبلاغته في كتاب الخطابة لابن سينا". مجلة اللسانيات العربية١(٢٠١٥) ٥٦.٧٩.

العزاوي، أبو بكر. "الحجاج في اللغة والبلاغة– ديكرو وبيرلمان أنموذجا" مجلة فصول ١/٢٦ (٢ ٢٠١٧م).٣٩٩. ٤٠٨.

علوي، حافظ إسماعيل. "الحجاج مدارس واعلام". (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث ٢٠١١م).

العمادي، أبو السعود محمد بن محمد. "تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم". (ب. ط، بيروت: دار إحياء التراث، ب. ت).

عمارية، حاكم، "الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي دراسة لسانية تداولية في

الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقفي"، (ط١، دمشق: دار العصماء ٢٠١٥م).

العمري، محمد. "البلاغة لجديدة بين التخييل والتداول" (ط١، المغرب: دار أفريقيا، ٢٠٠٥م).

الفوزان، صالح. "شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية". (ط١، الرياض: دار العاصمة، ب. ت).

"معجم المناهي اللفظية، وفوائد في الألفاظ" لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص: ٤٠٧.

Bibliography

Ibn Taymīyah, Aḥmad Taqī al-Dīn. "Majmū‘at al-rasā’il al-Kubrá". Investigated by: Muḥammad Anas Muṣṭafá al-Khinn (1st ed., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī).

Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. "al-Taḥrīr wa-al-tanwīr" . (1st ed., Beirut - Lebanon: Mu’assasat al-tārīkh, 2000).

Ibn Fāris, Abū al-Ḥusain Aḥmad ibn Fāris. "Maqāyīs al-lughah". Investigated by: ‘Abd al-Salām Hārūn, (1st ed. Damascus: Dār al-Fikr 1998).

Ibn Kathīr al-Qurashī al-Dimashqī, Ismā‘īl ibn ‘Umar. "Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm". Investigated by: Sāmī ibn Muḥammad Salāmah. (2nd ed., al-Madīnah al-Munawwarah: Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1420 AH-1999).

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-‘Arab". (Beirut: Dār Ṣādir).

A‘rāb, Ḥabīb. "al-Ḥijjāj wa al-Istdilāl al-Ḥijjājī ‘Anāṣir Istiqṣā’ Naẓarī" ‘Ālam al-Fikr vil. 30 iss: (2201)

Āla al-Shaikh, Ṣāliḥ ibn ‘Abd al-‘Azīz. "al-Tamhīd li-Sharḥ Kitāb al-Tawḥīd". (1st ed., Riyadh: Dār al-tawḥīd,, 2003).

al-Alma‘ī, ‘Awaḍ Zāhir ibn ‘Awwāḍ. "Dirāsāt fī al-Tafsīr al-Mawḍū‘ī lil-Qur’ān al-Karīm, (1st ed., 1405 AH).

al-Alma‘ī, Zāhir ‘Awwāḍ. "Manāhij al-Jadal fī al-Qur’ān al-Karīm". (2nd ed., Riyadh: Maṭābi‘ al-Farazdaq al-Tijārīyah, 1404 AH).

al-Biqā‘ī, Burhān al-Dīn. "Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-āyāt wa-al-suwar". Investigated by: ‘Abd al-Razzāq Ghālib al-Mahdī, (1st ed., Beirut : Dār al-Kitāb al-‘Ilmīyah, 1415 AH).

al-Baiḍāwī, ‘Abdullāh ibn ‘Umar. "al-Baiḍāwī Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl". Investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī. (1st ed., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1418 AH).

al-Ḥajjāj ibn Muslim al-Qushayrī al-Nīsābūrī. "Ṣaḥīḥ Muslim". (1st ed., Beirut: Dār al-Jīl Beirut - Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1994).

al-Khafājī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Umar. "Ḥāshiyat al-Shihāb = ‘Ināyat al-Qāḍī wa-kifāyat al-Rāḍī". Investigated by: ‘Abd al-Rāziq al-Mahdī. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1997).

Dāwūd, Aḥmad al-Sayyid Ṭalḥah. "al-Istidrāj fī al-Qur’ān al-Karīm, dirāsah balāghīyah taḥlīlīyah". (1st ed., 2004).

Dāwūd, Aḥmad al-Sayyid Ṭalḥah. "Uslūb al-Taraqqī fī al-Qur’ān al-

Karīm mawāqiʻuhu wa-asrāruhu". (1st ed., 2002).
Darāz, Muḥammad ʻAbdullāh. "al-Naba' al-ʻAẓīm Naẓarāt Jadīdah fī al-Qur'ān". (7th ed., Kuwait: Dār al-Qalam, 1993).
Ibn Kathīr, Ismāʻīl ibn ʻUmar. "Tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm". Investigated by: Sāmī ibn Muḥammad Salāmah. (2nd ed. Saudi: Dār Ṭaybah, 1999).
al-Duraydī, Sāmiyah. "al-Ḥijjāj fī al-shiʻr al-ʻArabī al-qadīm min al-Jāhilīyah ilá al-qarn al-Thānī lil-Hijrah binyatuhu wa-asālībuh". (1st ed. Jordan: ʻĀlam al-Kutub al-ḥadīth, 2008).
al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusain Muḥammad. "al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān". Vowelization: Haytham Ṭuʻaimy.
Rashīd Riḍā, Muḥammad. "Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm al-mawsūm be al-Manār". Investigated by: Fu'ād Sirāj ʻAbd al-Ghaffār. (1st ed., Cairo: al-Maktabah al-Tawfiqiyyah, 2004).
al-Zāmilī, Aḥmad ʻAlī. "Manhaj al-Shaykh ʻAbd al-Razzāq ʻAfīfī wa-juhūduhu fī taqrīr al-ʻaqīdah wa-al-radd ʻalá al-mukhālifīn". (1431 AH).
al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻUmar. "al-Kashāf ʻan ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl wa-ʻuyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl". (1st ed., Cairo: Dār al-Rayyān lil-Turāth, 1987).
al-Shahrī, Ẓāfir ʻAbd al-Hādī. "Istirātījīyāt al-khiṭāb muqārabah lughawīyah tadāwulīyah". (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-jadīd 1440 AH).
Ṣawlah, ʻAbdullāh, "Naẓarīyat al-Ḥijjāj Dirāsāt wa-taṭbīqāt". (1st ed., Tunisia: Miskīliyānī lil-Nashr, 2011).
Ṣawlah, ʻAbdullāh. "al-Ḥijjāj fī al-Qur'ān min khilāl ahamm khaṣā'iṣihi al-uslūbīyah". (1st ed., Tunisia: Dār al-Fārābī, 2007).
al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. "Jāmiʻ al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān". Investigated by: Aḥmad Muḥammad Shākir. (1st ed., Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1420AH - 2000).
ʻAbd al-Raḥīm, Muntaṣir Amīn. "al-Adā' al-Ḥijāji wa-Balāghatuhu fī Kitāb al-khaṭābah li-Ibn Sīnā". Journal of Linguistics Arabic 1 (2015) 5679.
al-ʻAzzāwī, Abū Bakr. "al-Ḥijjāj fī al-Lugha wa-al-Balāgha" Ducrot Perelman anmūdhajan". Fuṣūl Journal 26/1 (2017).
ʻAlawī, Ḥāfiẓ Ismāʻīl. "al-Ḥijjāj Madāris wa-Aʻlām". (1st ed., Jordan: ʻĀlam al-Kutub al-ḥadīth 2011).
al-ʻImādī, Muḥammad ibn Muḥammad. "Tafsīr Abī al-Saʻūd = Irshād al-ʻAql al-Salīm ilá mazāyā al-Qur'ān alklāym. (Beirut: Dār Iḥyā'

al-Turāth).

‘Ammārīyah, Ḥākim. "al-Khiṭāb al-Iqnā‘ī fī ḍaw’ al-tawāṣul al-lughawī dirāsah lisānīyah tadāwulīyah fī al-khaṭābah al-‘Arabīyah Ayyām al-Ḥijjāj ibn Yūsuf al-Thaqafī". (1st ed, Damascus: Dār al-‘Aṣmā’ 2015).

al-‘Umarī, Muḥammad. "al-Balāgha al-Jadīdah bayna al-Takhyīl wa-al-Tadāwul". (1st ed., Morocco: Dār Afrīqiyā, 2005).

al-Fawzān, Ṣāliḥ. "Sharḥ al-‘Aqīdah al-Wāsiṭīyah li-Ibn Taymīyah". (1st ed., Riyadh: Dār al-‘Āṣimah).

Abū Zayd, Bakr ibn ‘Abdillāh. "Mu‘jam al-Manāhī al-Lafẓīyah, wa-Fawā’id fī al-Alfāẓ". (Dār al-‘Āṣimah, Riyadh: 3rd ed., 1417 AH-1996).

١٣٨١
١٩٦١

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 10

Oct - Dec 2023